المدخل السيسيولوجى الى مجتمع المعرفة

فى مصر والوطن العربى

ا.د/ اشرف عبد المحسن الشريف

استاذ ورئيس قسم المعلومات

كلية الآداب – جامعة بنى سويف

لقد أدت القفزة المعرفية التى نشهده اليوم الى بروز معطيات جديدة للمجتمعات الانسانية . لم تعرفها المجتمعات السابقة . وهكذا برز مجتمع المعرفة بشكل جديد حاملا هذه المعطيات فى صفاته ، ومتطلعا أيضا الى تعزيز الامكانات المعرفية ، والعمل على الاستفادة منها فى تطوير المجتمعات الانسانية . ولعل من أبرز أمثلة الاهتمام بمجتمع المعرفة ما يقوم به الاتحاد الاوربى فى هذا المجال ، ففى مؤتمر القمة الأوربى الذى عقد فى ليشبونة عام 2000م اتخذت قرارات لدعم التوجه نحو بناء مجتمع المعرفة وتطويره والاستفادة من معطياته ، وعلى المستوى العربى فإن من أبرز أمثلة هذا الاهتمام التقرير الثانى للتنمية الانسانية العربية الذى صدر عن برنامج الأمم المتحدة الانمائى ، والصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى والذى حمل شعر " نحو إقامة مجتمع المعرفة .

وقد ظهر مفهوم مجتمع المعرفة لأول مرة في منتصف عقد الستينات من القرن الماضي ، و قدم العديد من الباحثين نظريات متنوعة حول مجتمع المعرفة و خصائصه و أبعاده و مكوناته ، ومن أبرز هذه الجهود النظرية التي قدمها الباحث نيكوستر ، و هي نظرية خاصة بالسمات العامة لمجتمع المعرفة وتركز على الوظائف و الأدوار المعرفية على أساس أن المعرفة تمثل منتجا جديدا يمكن أن يحل محل رأس المال حيث أنها تعبر عن عناصر الإنتاج غير التقليدية ، و يرى الباحث إدواردو بورتللا أن مجتمع المعرفة يمثل برنامجا متكاملا يتضمن التعليم و العلوم والثقافة والتكنولوجيا والاتصال التي تمثل كلها معا وحدة متكاملة و متماسكة وقد أصبح مجتمع المعرفة في ضوء التطورات الاقتصادية و التكنولوجية و الاجتماعية و الطفرات التكنولوجية و الثورة المعلوماتية التي حدثت في العقود الأخيرة من المؤثرات القوية التي تمارس تأثيراً كبيرا وواسعا على مختلف جوانب الحياة المعاصرة .

هناك تنبؤات مستقبلية تشير الى ان مجتمع المعرفة سوف يصل الى أوج تطبيقه بحلول عام 2005 ، وأن المعرفة سوف تتضاعف كل 73 يوما بحلول 2020 ، وأن الأفراد سوف يستخدمون (1%) ، من المعرفة الحالية بحلول عام 2050 ، وبالتالى فإن ذلك يتضمن أو يشتمل على الزيادة الكبيرة فى المعرفة .

وقد أطلق السوسيولوجى الامريكى ألفين توفلر اسم الموجة الثالثة باعتبار أن البشرية قد عرفت فى تاريخها حضارتين سابقتين هما موجة عصر الزراعة الذى تشكلت قاعدته الفكرية التكنولوجية على المهارات الحرفية المكتسبة ، والموجة الثانية موجة عصر الصناعة الذى تأسست قاعدته التكنولوجية على العلم بفروعه المختلفة ، ثم جاءت الموجة الثالثة وهى عصر ما بعد الصناعة او مجتمع المعرفة الذى تأسست قاعدته الفكرية التكنولوجية على العلم بصفة خاصة ، والمعرفة الانسانية بصفة عامة ، فهى نظرة تسعى لاكتشاف أوجة الشبة والتلاقى بين الفروع المختلفة للعلم واتربطها سويا لتشكيل رؤية أكثر شمولية للواقع والمجتمع الذى نغيش فيه . (ربخى عليان)

واذا كان المجتمع الصناعى قد اعتمد على البخار والفحم والقوى الميكانيكية ، ثم على النفط والكهرباء والطاقة النووية ، واعتماد رأس المال على قوة الدولة لتأمين المواد وفتح الاسواق ، فان مجتمع المعرفة يعتمد أساسا على العقل البشرى ، واكتشافه فى الالكترونيات الدقيقة ، والهندسة الحيوية ، والذكاء الاصطناعى ، والاتصالات والكمبيوتر ، علاوة على امكان توليد المعارف والمعلومات ، واختزانها مع امكان استردادها وتوصيلها بسرعة الضوء الى أى بقعة فى العالم .

وبعود الميلاد المعرفى الفعلى لمفهوم مجتمع المعرفة الى أواخر التسعينات من القرن الماضى ، خاصة بعد أن بذلت منظمة اليونسكو جهدا فائقا فى مجال التعريف به ونشره ، فقد كانت معظم الايدلوجيات السائدة فى اوربا وخاصة الماركسية تؤكد على أن تطور المجتمعات يأتى نتيجة الى حسن استغلال الامكانات المادية والثروات الطبيعية ، وتحقيق حالة من الاشباع الجماعى على المنهج الشيوعى ودولة الرفاة فى المفهوم الرأسمالى ، الا انه مع مرور السنوات ثبت محدودية هذه الرؤية .

ومنذ أواسط السبعبنات من القرن الماضى تم لفت الانتباة الى أن تطور المجتمعات ليس نتاج المعطيات الاقتصادية والمادية فقط ، بل هناك ثمة معطيات أخرى من الضرورى توافرها لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمعات ، ولذلك تم التركيز فى اوربا والولايات المتحدة الامريكية على ما يسمى " بالرسمال غير الملموس " أو الافتراضى ، أى الاستثمار فى قطاعات التربية والتعليم ، والصحة ، والاعلام ، والمعلوماتية ، الا انه منذ منتصف الثمانينات ظهر جليا أهمية الموارد البشرية فى تحقيق النمو الاقتصادى ، الأمر الذى يفسر حرص المجتمعات الأوربية على التلازم بين التحكم فى المعلومات وحسن اعداد الرأسمال البشرى .

وعلى هذا يمكن القول بأن مجتمع المعرفة هو حالة من التلاحم الفكرى والمعرفى والتقنى ، ومن التقدم العلمى والبشرى معا ، الأمر الذى شجع بعض المختصين على وصفه بالثورة متعددة الاتجاهات .

يرتبط هذا مصطلح مجتمع المعرفة بالفرنسي آلان تورين في كتابه "المجتمع ما بعد الصناعي" الصادر سنة 1969، وبالأمريكي دانيال بيل في كتابه " قدوم المجتمع ما بعد الصناعي" الصادر سنة 1973.

ويرى تورين أنّ المجتمع ما بعد الصناعي أو المجتمع "المبرمج" هو مجتمع المعرفة والمعلومة أساساً؛ فالإنتاج والنموّ لا يتوقّفان على تراكم رأس المال، بل يرتبطان بدوائر أكثر اتّساعاً في المجتمع مثل التعليم والمعلومة والاستهلاك

إنّ محرك المجتمعات ما بعد الصناعية هو ابتكار نابع من تنظيم المعلومات. وإنّ للمجتمع ما بعد الصناعي انعكاسات كبيرة على تنظيم العمل لأنه، وفقاً لدانيال بيل، يتم إنشاء القيمة في المقام الأول من خلال العمل المعرفي بدلاً من العمل اليدوي. ولذلك، تم استبدال أهمية انتشار الوظائف اليدوية ذات الياقات الزرقاء، مثل العمل في المصانع، بالوظائف الكتابية ذات الياقات البيضاء، كالاستشاريين والمتخصصين في تكنولوجياالمعلومات والمديرين

ان النموذج السيولوجى لمجتمع المعرفة يرى أن المجتمع كله يتغير تحت تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات . ويعد أول إسهام حقيقى فى هذا الصدد لدانيال بيل، وقد وضع بيل فى كتابه قدوم المجتمع ما بعد الصناعى هذا نظرية كلية للمجتمع أشار فيها الى نشأة نظام اجتماعى مختلف وجديد ، استجابة للتحولات الحديثة فى العمل والاقتصاد والتكنولوجيا .

وقد اهتم بيل بثلاثة عناصر أولها يتعلق بالقوى العاملة فى المعلومات فى المجتمع ما بعد الصناعى ، ويتعلق الثانى بانسياب أو تدفق المعلومات – وخاصة المعرفة العلمية ، ويتعلق العنصر الثالث بالحاسبات وثورة المعلومات .

وهناك خمسة أبعاد لمفهوم بيل لمجتمع ما بعد الصناعة او مجتمع المعرفة هى :-

١ -هناك تحول من اقتصاد انتاج السلع الى اقتصاد انتااج الخدمات .

٢ - هناك زيادة فى الحجم والتأثير لفئة العمال المهنيين والتكنولوجيين .

٣ - مجتمع ما بعد الصناعة أو مجتمع المعلومات هو مجتمع منظم حول المعرفة .

٤ - الهدف العام هو ادارة النمو التكنولوجى .

٥ - التركيز على تطوير الطرق الخاصة بالتكنولوجيا الفكرية .

وشدّد بيل (1999) (Daniel Bell على التناقض القوي بين البنية التكنوقراطية للمجتمعات الحديثة من جهة، وثقافتها المرتكزة الى المتعة واللذة، التي تتضمّن الكثير من التوقّعات المتضخمّة عن أنماط العيش الفردية والجماعية

وقد دعى بيل الى أن التغييرات المرتبطة بمرحلة ما بعد الفوردية تُشكّل تحولاً أكبر في طبيعة مجتمع السوق ، حيث خضعت المجتمعات الرأسمالية المتقدّمة لعملية تحول كبرى فانتقلت من اقتصاد قائم على الصناعة، إلى مجتمعيقوم النجاح الاقتصادي فيه على البيانات والمعلومات والخدمات المعرفية.

هذا وقد ظهر فى التسعينيات من القرن الماضى عالم الاجتماع الامريكى الاسبانى الاصل مانويل كاستيلز وقدم عملا من ثلاث مجلدات بعنوان بزوغ المجتمع الشبكى ، قوة الهوية ، نهاية الألفية .(1996-1998) ، حيث يرى كاستيلز تحول العمل من الاعتماد على الآلة الى الاعتماد على المعرفة ، كما يرى ان تطور شبكة الاتصالات العالمية هى قائد التطور الاقتصاد العالمى .

ورغم تعدد الرؤى من قبل العلماء المنظرين لنشأة مجتمع المعرفة ونموه فى فترة العقدين الأخيرين من القرن الماضى ، الا انه يمكن القول بأنه ليس هناك تفسير واحد متفق عليه لأسباب نشاة مجتمع المعرفة ، بل هناك الكثير من مدارس الفكر أو الرؤى التى تهتم بتقديم

أدلة على معلوماتية المجتمع ، قالمجتمعات المتقدمة تحولت بالفعل أو تتحول الى مجتمعات معرفة ، ومع ذلك فهى تعنى أشياء أخرى محتلفة . فاذا كان المجتمع متعدد الأوجه فكذلك المعرفة ، فالعمل المعلوماتى وتدفق وانسياب المعلومات من الامور المهمة فى اى مجتمع و ومن الواضح ان تكنولوجيا المعلومات تغير المجتمع بطرق متعددة وعليه فمن الصعب وجود نظرية واحدة نهائية للتنظير لمجتمع المعرفة وأنها ذات بعد واحد ، وانما يجب دمج العناصر المتنوعة للمعلوماتية بطريقة متوازنة .

وعليه فأن أى مدخل نظرى لفهم مجتمع المعرفة وعناصره يجب ان تكون متعدد الابعاد ، يتعلق بالعديد من العناصر الاخرى فى المجتمع مثل التعليم والعمل الشخصى والفعل السياسى والعامل الاقتصادى ، وعلى الرغم من أهمية العامل التكنولوجى باعتباره قائد التغير نحو مجتمع المعرفة الا انه لا يجب أن ننسى ان مجتمع المعرفة هو فى الأساس ظاهرة احتماعية تتعلق بمعيشة الناس وتفاعلهم سواء فرادى او مع بعضهم البعض .